الأهرام

المصدر : الجمهـــــــورية

التاريخ : ٢٨ سبتمـــبر ١٩٩٥

احتفالات واشنطن .. والحساب الخاطئ ..
التوقيع .. عرس الدولة الفلسطينية ..

واشنطن - محفوظ الأنصارى :

اليوم .. تحتفل العاصمة الأمريكية «واشنطن» ، « بعرس » ليس عرسها .. ويستقبل بيتها الأبيض وحدائقه الجميلة الواسعة ، عددا من الضيوف « الزعماء » للاحتفال ، بمناسبة، ليست أمريكية ، ولاغربية .. ويقوم رئيسها كلينتون بدور « صاحب الفرح » ، أو المضيف ، فى حين أنه ليس من « أقرباء » العروسين .

لكن فى السياسة - المسائل لاتقاس « بدرجة القرابة » .

ولايفرض الاهتمام ، كون موضوع « الحدث أو المناسبة » وطنيا ، محليا مباشرا .. أوأجنبيا ، يبعد عن أرض الوطن الاف الأميال .

فمادامت المصالح « كونية » وطالما ظلت « البوارج » تمخر عباب مياه الدنيا .. والأقمار تسير سابحة فى سماوات الفضاء المفتوح .. والغواصات النووية تنزلق راقصة فى جوف المحيطات ، تحفظ الأمن ، وتصون التوازن ، وتحمى أسباب القوة والمنعة والمنفعة « للقوة العظمى الحاكمة » .

طالما ظلت الصورة هذه .. فكل بلاد الدنيا ، وطن لهذا « المارد الكونى » .. يحارب معاركه .. ويحتفل بعرسه وأفراحه ..

ولاشك أن الشرق الأوسط بموقعه وبموارده .

ببلدانه ، وبمشاكله ، هو أحد أهم مناطق الكون بالنسبة لكل قوة عظمى ، تحكم زمانها .

وبالتالى استحق الاتفاق الفلسطينى - الاسرائيلى الموقع بالاحرف الاولى ، فى طابا المصرية ، وبجدارة كل هذا الاهتمام والتكريم .

استحق أن يكلف الرئيس كلينتون نفسه ، كل هذا العناء .

فهو - كلينتون - بهذا الاهتمام ، وهذا العناء ، جعل من المناسبة ومن الاتفاق ، نجاحا له ، ولادارته .

وجعلها فخرا ، وإعزازا لوطنه وشعبه .. حبا فى السلام وتضحية فى سبيله .

لكن ذكاء الرئيس الامريكى ، منعه من أن يحاول أن ينسب كل شىء لنفسه وإدارته .. فهو الأعرف والأدرى قبل غيره ، أن هناك شخصيات وزعامات ، لولاها ما تم الاتفاق .. ولولا تدخلها المتكرر والمتواصل ، لانفض جمع التفاوض من زمن ، قبل تحقيق أى اتفاق .

والرئيس مبارك .. على رأس من ساهموا وفعلوا ونجحوا فى رعاية المفاوضات وضمان استمرارها حتى فى أدق المراحل وأصعبها .. ويكفى القول ، أنه خلال الأيام العشرة الأخيرة من المفاوضات .. قطع عرفات جلسات التفاوض فى طابا خمس مرات وجاء إلى القاهرة ، أو الاسكندرية ، أو برج العرب ، ليلتقى بمبارك ، ويعرض عليه العقبات ، ويشكو له « التعنت » ويستشيره فى قرار وصل إليه - ولا عودة فيه - أقصد عرفات - وهو ترك المفاوضات وإغلاقها لعدم جدية الاسرائيليين .

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

وكانت نصيحة مبارك ...:

« خد وقتك أنت .. ولاتجعل الوقت يطاردك » .

« لاتكترث بتوقيتات » ، ولابمواعيد توقيع ، مطلوب منك أن تخضع لها .. فالتوقيت خاضع لقرارك .. ولست أنت الخاضع لهذا التوقيت أو ذاك » .

« إياك أن تفكر فى هجر ماندة التفاوض .. فهذه هى أرض المعركة .. وساحتها هى ساحة نصرك واستعادة حقوقك وحقوق شعبك .. وهجرها أو التخلى عنها تفريط فى الحق » .

« تمسك بالحقوق الوطنية .. العادلة ولاتيأس او تغضب » .

وعاد عرفات فى كل مرة إلى ماندة التفاوض العنيف والحاد .

وبعث مبارك دائما بممثليه إلى « رابين » .

وتحدث بنفسه إلى القادة الاسرائيليين .

لذلك لم يكن غريبا .. أن يتصل عرفات وبيريز بمبارك لحظة الاتفاق فى طابا .. ولم يكن غريبا ، أن يطير عرفات قادما للقاهرة بمجرد التوقيع يقدم التقدير والاعزاز والشكر لمبارك .

المهم .. كان كلينتون من الذكاء بحيث يشرك كل من له صلة بالاتفاق - فى انجازه وفى مستقبله - فى احتفال اليوم بالبيت الأبيض بواشنطن .

ودعا إلى جانب مبارك .. الملك حسين شريك « الثالوث » فوق أرض فلسطين ، على شاطىء نهر الاردن وفوق ضفتيه .

هذا الثالوث المتكون من الاردن واسرائيل وفلسطين .. الباحث عن صيغة لقاء وتعايش فى إطار فيدرالى .. أو كونفدرالى .

دعا كلينتون ، « فيليب جونزاليس » رئيس وزراء اسبانيا حيث وضعت أسس اتفاقات السلام وقواعده فى مؤتمر مدريد عام ١٩٩٢ والذى على أرضيته ونتائجه ، بدأت المفاوضات الثنائية بين اسرائيل من جانب وكل من الاردن، وفلسطين وسوريا- كل على حدة- من جانب آخر .

دعا الرئيس الامريكى كذلك، لاحتفال اليوم ، وزير خارجية النرويج ، صاحبة الدبلوماسية الهادئة التى اسفرت عن اتفاق « أوسلو » بين الفلسطينيين ، والاسرائيليين ، والذى يعتبر « احتفال اليوم » حلقة من حلقات هذا الاتفاق .

● ● ● ● ● ●

واتفاق اليوم الذى يجرى الاحتفال به ، هو المرحلة الثانية ، فى إطار تنفيذ اتفاق « أوسلو » والذى يتناول ، توسيع مجال سلطة الحكم الذاتى الفلسطينى على الارض الفلسطينية، وانسحاب القوات الاسرائيلية من المناطق الجديدة - مدنا، وقرى - والتى ستؤول إدارتها للسلطة الفلسطينية والتى ستكفل لهذه السلطة، بسط نفوذها - فى هذه المرحلة - على ٢٧-٣٠٪ من أراضى الضفة الغربية، تضم بين جنباتها، وتقام فوقها ٦ مدن كبرى - جنين: نابلس . طولكرم . قليقيلية . بيت لحم . رام الله - بالاضافة الى ٤٠٠ قرية .

يتناول الاتفاق كذلك موضوع الانتخابات التى ستجرى خلال ٦ أشهر على الاكثر من تاريخ توقيع اليوم ، والمتوقع لها شهر فبراير القادم.

وأهمية موضوع الانتخابات ، رغم التعقيدات التى اكتنفته ، طوال عملية التفاوض ، بل وحتى اليوم .. أنه ينظم عملية انتخاب مجلس يضم ٨٢ شخصا من أهل الضفة .. يتولى هذا المجلس انتخاب رئيس له من بين اعضائه، وهو رئيس « السلطة الفلسطينية » رئيس فلسطين وهذا المجلس ، وما يتخلق منه ويتفرع عنه يتولى مهام السلطات التنفيذية والتشريعية على المناطق الخاضعة فى ضوء الاتفاق الجديد ، أى ٣٠٪ من الارض، بالاضافة إلى غزة وأريحة.

بعد الانتخابات أو معها تأتى مسألة الشرطة والبوليس ، خاصة وأن « التداخل والتشابك » مازال قائما ومستمرا بسبب الخطوط الطولية والعرضية ، التى تربط أرض فلسطين بقراها ، ومدنها - وتوصل بين بعضها البعض .. سواء بين منطقة السلطة الفلسطينية ، أى الـ ٣٠٪ ، أو بين هذه المنطقة ، وباقى الأرض التى مازالت خاضعة لسلطة الاحتلال وتمثل ٧٠٪ من فلسطين .

وحتى «الممر الامن» الذى يربط بين أريحة وغزة هو أحد عناصر التشابك القائمة .. فضلا عن وضع مدينة هامة مثل الخليل مازال بها ٤٠٠ مستوطن يهودى ، من أشد المتعصبين ومن عتاة الارهابيين .

لذلك احتل موضوع الشرطة مساحة هامة وصعبة .. ورغم الاتفاق على الدوريات المشتركة ، والدوريات المتحركة أو المنقولة ، إلا أن أسباب الاشتباك ، بل والمواجهة باقية ، ويمكن أن تفجر الأوضاع فى أى وقت .

خاصة وأن الاتفاق الأمنى يؤكد على أنه ليس من حق البوليس الفلسطينى القبض على مواطن اسرائيلى .

وإذا كانت المساحة .. وبعدها الشرطة .. والانتخابات ، وبالتحديد طريقة ادلاء سكان القدس الشرقية ، بأصواتهم ، قد احتلت جانبا كبيرا من الاهتمام طوال المفاوضات المريرة ، الا أن موضوع المياه كان هو الاخر على نفس الدرجة من الأهمية .. ورغم ما توصلوا إليه من صيغة توفيقية ، فهى فى النهاية مؤقتة أو انتقالية ، حيث تبقى المياه ، ومصادرها تحت ادارة مشتركة فلسطينية - اسرائيلية ، إلى ان تستكمل عملية نقل السلطة بالكامل للفلسطينيين على مجمل الأرض الفلسطينية .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

وظلت «مدينة الخليل» رغم كل هذا العناء .. ورغم الصيغ التوفيقية التي تم الاتفاق عليها حول الموضوعات الشائكة .. وكلها بدت شائكة .. ظلت الخليل بمستوطناتها اليهودية وسكان هذه المستوطنات الـ ٤٠٠ يهودى عقبة .

ظلت طوال أيام التفاوض .. وبعد التفاوض والاتفاق «رمز» .. التشدد الاسرائيلى .. «ورمز» .. التمسك والصلابة الفلسطينية .

بكلام صريح ، «أجل» .. موضوع الخليل .. فالمدينة التى يعيش فيها أهلها وأصحابها وسكانها الفلسطينيون وعددهم ١٥٠ ألفا ، لايصح ، تحت أى ادعاء أن يخضعوا لمشيئة ورغبة ٤٠٠ وافد ، أو نازح أو مستوطن ، او ارهابى متعصب .

خاصة وأن الدراسات .. اليهودية نفسها قد أثبتت أن هذه المدينة لم يكن لليهود حق فيها ، لا بالتوراة ، ولا بالتاريخ .. كما صرح شيمون بيريز نفسه لجريدة ايدعوت احرانوت .

لكن اتفق على ترتيب خاص يعطى لاسرائيل حق الحماية وللجيش الاسرائيلى حق التدخل .

وبقيت مغارة القديسين فى الخليل والحرم الابراهيمى خاضعة للاشراف الاسرائيلي ، وبقيت دوريات الحماية دخولا وخروجا للمدينة ، لمصاحبة المستوطنين .

ولاشك ان الاسرائيليين قد حاولوا استغلال كثير من النقاط طوال التفاوض .. وكان الجانب الدينى والمواقع المقدسة عناصر أساسية للضغط وللتشد .. ليس فقط فى الخليل ، التى بقيت بوضع خاص .. ولكن أيضا بالنسبة لمدينة بيت لحم حيث قبر القديسة راشيل .. وفى نابلس حيث قبر يوسف .

والمؤكد أن التعنت الاسرائيلى بالنسبة لهذه المواقع والأماكن المقدسة فى المدن الثلاث – الخليل . نابلس بيت لحم – لم يكن لأسباب تاريخية ، او توراتية .. انما كان عملية ، سياسية مركبة ترتدى الثوب التوراتى ، التاريخى والدينى لتخفى المطامع الحقيقية فى الأرض .

وهذا التشدد والتصلب الذى أظهر المفاوض الاسرائيلى الان ، أو فى هذه المرحلة حول الأماكن المقدسة .. انما هو فى حقيقية ومغزاه ، خوض معركة متقدمة ، بشأن «القدس» المؤجل موضوعها للمرحلة الثالثة .

هو أيضا ، رفض اعطاء أى «سابقة» .. قد يستغلها الفلسطينيون بعد ذلك فى المفاوضات حول المدينة المقدسة .

فالقدس كانت ومازالت وستظل معركة المعارك ..

- دينيا .
- ودنيويا .
- لكن الاكثر من اى شىء أن قضاء القدس ، قد ابتلع ⅓ – ثلث – مساحة الضفة الغربية ، فى فترة الاحتلال تهيئة لتكون «الجائزة الكبرى» .. لاسرائيل ، فى حالة أى اتفاق وتحت اى ظرف .. «جائزة» تغطى ⅓ الضفة ، وتصبح بما تمثله هذه المدينة العظيمة عاصمة للدولة العبرية .

ولهذا فهم يخوضون كل يوم معركة القدس ، وحتى قبل أن تبدأ .

● ● ● ● ● ●

وعلى كل حال فاتفاق اليوم .. شأنه شأن جميع الاتفاقات العربية السابقة واللاحقة مع اسرائيل سيخضع .

□ لهجوم عنيف من الرافضين المتشددين ..
حسنو النية منهم .. والمغرضون .
وسيجد اولئك وهؤلاء الكثير من الثقوب والثغرات التى تجعلهم ينالون من هذا الاتفاق .

□ وسيخضع ، بل وخضع لاستحسان وقبول من جانب اخرين .
بعضهم يدرك صعوبة الموضوع وتعقيداته ، فى كلياته ، وفى تفاصيله ، وانها مرحلة لابد ان تمر لندخل ما بعدها ..
وبعضهم الاخر يفرح ويهلل لكل شىء .. حبا فى السلام .. أو حسب هواه .

هذا الانقسام فى المواقف والآراء .. بالنسبة لإسرائيل والاتفاق ، أو الخلاف معها .. هو ظاهرة عربية ..
ظاهرة لايصح رفضها .. أو قبولها بسهولة ..
فللرفض وللقبول مبرراته ـ النفسية .. والواقعية .. والعملية .. ولكل حججه وأسبابه ..

لكن فى نهاية التحليل .. يجب الإعتراف والقول ، أن الاتفاقات العربية ـ الإسرائيلية .. فى مجموعها .. فى حقيقتها .. و رغم إتمامها منفردة ، على جبهة تلو الأخرى .

هذه الإتفاقات لايجب أن تخضع للقوانين والقواعد الأكاديمية التقليدية التى تحكم الاتفاقات ، وتسوية المنازعات الدولية والاقليمية والقارية والحدودية ..

هذه القواعد والأحكام المتعارف عليها ، لاتصح فى مجملها على الصراع العربى الإسرائيلى ..

وسأركز فى هذه النقطة على عنصر أو قاعدة هامة تتحكم فى تسوية الصراعات ..

وهى نقطة « علاقات القوة .. » بين طرفى او اطراف الصراع ..

وأعنى بالقوة ، القوة العسكرية بالتحديد ..

ففى زمن الاحتكام إلى عنصر القوة العسكرية ، لم تستطع اسرائيل أن تفرض صلحا ، ولا إتفاقا ..

وعندما أصبحت القوة العسكرية بأدواتها النووية فوق التقليدية ، والتقليدية ، « وقفا .. » غير قابلة للاستخدام إلا فى حدود ضيقة .. بحكم المتغير من الاوضاع والظروف ، دوليا وإقليميا .. تحركت عجلة السلام .. وتقدمت فى إتجاه التسويات ..

وعكست نتائج هذه التسويات وبنود الاتفاقيات ، طبيعة الأوضاع الجديدة .. ليس كما تقدمها « علاقات القوة .. » وتوازنها أو إختلالها .. ولكن عكست العلاقات فى ظل المتغيرات . فى ظل التحولات ـ وفى المستجدات ـ وفى ضوء ما توفر ، من أحزمة ضوئية ، تكشف معالم المستقبل .

مستقبل .. الحكم فيه ليس للقوة العسكرية ..

إنما مستقبل ، تفصل فيه القدرة العلمية والفنية .. تسيطر عليه المعرفة .. معرفة مستخدمة ومستغلة من أجل انتاج جيد قادر على المنافسة .. وخدمة متميزة اساسها المعلومات والتكنولوجيات الحديثة ..

فلم تكن مصر فى كامب ديفيد ، هى الأقوى عسكريا .. لكنها كانت وظلت الأقوى ، بما تملك من عناصر قوة وقدرات كامنة ..

وليس الفلسطينيون .. ولا كانوا فى أوسلو ، وطابا الأقوى عسكريا .. ولكن الإصرار ، بالحق وللحق ، المتفجر غضبا وتشبثا ، وعنفا كل يوم ، هو مؤشر المستقبل ، وحكمه ومعياره .. هذا الإصرار سقطت معه أوهام شامير وشارون ، وكاهانا وغيرهم .. فجلسوا حول مائدة التفاوض بحثا عن حل ..

سوريا .. العنيدة .. الرافضة .. المتمسكة بالحق .. كل الحق .. غير منقوص ، ولا مشبوه .. ليست الأقوى عسكريا .. وليست المندمجة فى شراكة أو تحالف مع قوى العالم العظمى والكبرى ..

لكنها هى الأدرى بشعبها وبأوضاعها وأوضاع غيرها .. الأدرى بالمتغيرات .. ولذلك ليست متعجلة ، فتتنازل .. وليست رافضة للسلام العادل ، فيجتمع الكل عليها ..

إنما هى حاسبة وبدقة .. مقدرة لما تحمل من اوراق ..

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

اوراق ربما لاتستطيع أن تفرض بها ما تريد .. لكنها بالتأكيد تستطيع أن تمنع وتعطل بها الكثير ..

ولذلك فإعتقادى الاكيد .. أنه رغم أن « عرس . » واشنطن اليوم .. هو عرس اتفاق طابا الفلسطينى الاسرائيلى ..

إلا أن الإتصالات التى ستجرى بين مبارك وكلينتون .. وبين مبارك ورابين : وباقى الزعماء المشاركين ، ممن ساهمت بلادهم فى مسيرة السلام ..

هذه الإتصالات سوف يحتل فيها موضوع ، تحريك عملية السلام على الجبهة السورية ـ الاسرائيلية . والجبهة اللبنانية ـ الإسرائيلية مساحة ضخمة ..

لتتفرغ المنطقة للتنمية .. ولتدخل صراعات ومنافسات التقدم والنمو ..

ومالم تدركه بنود إتفاق طابا الموقع اليوم ، والمدون فى ٤٦٠ صفحة بخلاف الملاحق .. وبالرغم من كل الثقوب ، والثغرات الموجودة ، إلا أن الحركة الدءوبة والمحسوبة المتمسكة بالحقوق ، لابد أن تدرك فى النهاية ، مالم تدركه البداية .. وربما كانت التجربة المصرية ـ الإسرائيلية شاهد العودة لكل الحق ، ولكل الارض ..

والاتفاق .. رغم كل مايقال .. قد وضع الأساس الثابت لقيام الدولة الفلسطينية .. والحديث مفتوح ومتصل .

واشنطن: محفوظ الأنصارى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية